السياسة الخارجية الروسية في الشرق الأوسط.. نظرة في عام 2018

قـــــــــــراءة وتـــــوقـــــعـــات

□ د. فالح الحمراني

على صعيد بلدان المنطقة الأخرى ومن بينها العربية والإسلامية وجوانب تفاعلها في بعض المجالات مع روسيا، توقع تقرير "المجلس الروسي للشؤون الخارجية" أن العراق سيشهد انتخابات برلمانية، وسيحتفظ رئيس الوزراء حيدر العبادي بالسلطة. وسيتم تنفيذ العقود مع موسكو في مجال التعاون العسكري/ الفني.

واستبعد انبعاث داعش في الأراضي العراقية، لكنه يحتمل استمرار الأعمال الارهابية. وكان مساعد الرئيس الروسي لشؤون التعاون العسكري/ الفني فلاديمير كوجين، قد قال مؤخراً، إن حجم صادرات الأسلحة الروسية للعراق في عام ٢٠١٨ ستبقى على مستواها. وذكر أن روسيا صدرت للعراق خلال ٢٠١٧ الدبابات ومنظومات مضادة للدبابات وأسلحة مدفعية وأسلحة خفيفة، وإن العراق تقدم بطلبية كبيرة للعام الحالي، منوهاً الى أن مناقشات تجري الآن مع الجانب العراقي، على سلسلة ونماذج أسلحة محددة". ونتوقع أن الحجم في عام ٢٠١٨ سيكون على مستوى العام الماضي".

وحدد تقرير المجلس الروسي للشؤون الخارجية المهام الرئيسة لروسيا في منطقة الشرق الأوسط في عام ٢٠١٨ بالعمل على منع وقوع اشتباك عسكري كبير بين إيران والدول الاقليمية (المملكة العربية السعودية واسرائيل) أو غير الاقليمية (الولايات المتحدة الأمريكية)، وتعزيز فكرة الأمن الجماعي في منطقة الخليج، اضافة للحفاظ على العلاقات الودية وتعزيزها مع الدول الرئيسة في العالم العربية وغيرها.

كما يرى تقرير المجلس "السياسة الخارجية الروسية: نظرة في عام ٢٠١٨" الذي تضمن قراءة واسعة للتوجهات المحتملة للسياسة الخارجية الروسية على نطاق دولي، إن من مهام موسكو في الشرق الأوسط أيضاً درء خطر انتشار اسلحة الدمار الشامل في الشرق الأوسط، والعمل للحيلولة دون تحول المنطقة الى نقطة اعداد للإرهاب الدولي وتصديره، وفي ما يتعلق بالنزاع السوري، فإن مهمة روسيا ستغدو الاحتفاظ بالمواقع السياسية هناك، وفي ظل ظروف الانتقال من العمليات العسكرية الى البرامج الاجتماعية. الاقتصادية الرامية لإعادة بناء البلاد، يلفت التقرير الى أن البحث عن توجهات وآليات لتفاعل روسيا الحيوي مع الاتحاد الاوروبي يكتسب أهمية خاصة. ويرجح أن القوات المسلحة الروسية الى جانب القوات الحكومية السورية والحلفاء الآخرين، ستلحق في عام ٢٠١٨ الهزيمة بما يسمّى بتنظيم داعش في سوريا. واستدرك: بالرغم من أن "داعش" وبُنيتها التحتية يمكن أن تنبعث في مناطق أخرى. وستحتفظ روسيا بحضورها العسكري في سوريا. وسيحتفظ بشار الأسد خلال عام ٢٠١٨ بالسلطة. وثمة احتمال كبير بأن عملية المباحثات السورية/ سورية في جنيف ستتعثر، ولكن سيتم الحفاظ عليها بمثابة آلية للمباحثات.

ولا يستبعد إتساع الفجوة بين عمليتي جنيف وأستانا (كازاخستان). ورجّح التقرير، أن اقتراح روسيا الرامي لعقد مؤتمر للحوار الوطني في سوريا سيتغلب على هذه الفجوة ويتجاوزها. وعلى وفق تقديراته، فإن الكثير سيعتمد على تشكيلة المشاركين في المؤتمر ومستوى تمثيلهم وسعته. في غضون ذلك ستبقى القضية الكردية من بين المشاكل الأكثر حدة المحلولة.

وستشارك روسيا في اعادة بناء سوريا، فضلاً عن تطوير حقول المعادن في البلاد واستخراجها والتي من بينها مشاريع "ستروي ترانس غاز" في مجال الفوسفات. وسيحظى عام ٢٠١٨ بأهمية من زاوية البحث عن اشكال مُثلى للتفاعل بين روسيا والولايات المتحدة والاتحاد الاوروبي وغيرها من اللاعبين في اعادة اعمار سوريا. ولكن التقرير يستبعد احتمال التعاون على المستوى الستراتيجي بين روسيا والولايات المتحدة في القضية السورية. وسوف يتم حظره بما في ذلك بسبب تنفيذ في عام ٢٠١٨ احكام العقوبات الامريكية التي فرضتها واشنطن على روسيا بسبب دورها في سوريا، على الرغم من الحفاظ على الاتصالات بين العسكريين الروس والأمريكيين، ولكن يمكن حدوث اصطدامات خلال تنفيذ العمليات الخاصة.

ويلفت التقرير الى أن تصعيد المواجهة بين ايران والولايات المتحدة، يمكن أن يؤثر في الاستقرار الاقليمي. وأضاف: في ظل هذه الخلفية، فإن موسكو ستعمل على تفعيل علاقات روسيا التجارية. الاقتصادية بالشرق الأوسط. وفي هذا السياق، أشار التقرير الى أن العلاقات الاقتصادية مع ايران ستتمحور حول مشاريع "روسنفت" مع شركة النفط الوطنية الايرانية وتطوير غاز بروم لحقل "فارزاد في" واستثمار "لوكويل" لحقل "منصوري" و "اب. تيمور" فضلاً عن مشاركة "روس اَتوم" في بناء المفاعل النووي لمحطة "بوشهر" الكهروذرية وغيرها.

وفي قراءته للمشهد في مصر، أشار التقرير الى الانتخابات الرئاسية المزمع اجراؤها هناك. مرجّحاً تواصل تعزيز سلطة الرئيس عبد الفتاح السيسي. وقال إن لدى روسيا فرصاً جيدة لتطوير مشاريع التعاون في مجالات الطاقة والعسكرية/ الفنية، وعلى وجه الخصوص تطوير حقل " ظهر" للغاز والتوقيع على عقد بشأن محطة الطاقة النووية في "الضبعة".

وحسب وجهة نظر تقرير المجلس الروسي للشؤون الخارجية، فإن الوضع السياسي في المملكة العربية السعودية سيؤثر في الاستقرار الاقليمي. وعلى الأرجح ستواصل المملكة التنسيق مع روسيا بشأن اسعار النفط، الأمر الذي، من وجهة نظر المجلس الروسي للشؤون الخارجية، لن يلغي نهج الرياض تجاه السياسة الروسية في سوريا والعلاقات مع إيران.

على صعيد آخر، تشير الدلائل الى أن الوضع باليمن في العام المقبل سوف يزداد سوءاً، بالرغم من أن تأثير الأزمة اليمنية على روسيا سيكون ضئيلاً. وسيكون من تداعيات انتهاء فترة سريان مفعول اتفاقات الصخيرات في ١٧ ديسمبر ٢٠١٧ بذل محاولات لحل الأزمة الليبية بالقوة. إن تحسن الوضع في ليبيا سيفتح فرصاً أمام روسيا للتعاون مع شركة النفط الليبية.

وستجري في عام ٢٠١٨ الانتخابات البرلمانية في افغانستان. وارتباطاً بذلك، قد يزداد الوضع تفاقماً ويجري تعزيز حضور القوات الأمريكية والأطلسية. إن إعادة التعاون بين روسيا وحلف شمال الأطلسي في افغانستان أمر مستبعد للغاية. وسيقوم الرئيس التركي رجب طيب اردوغان في عام ٢٠١٨ بزيارة لموسكو، الأمر الذي سيتيح فرصاً إضافية لمناقشة العلاقات الثنائية والوضع في سوريا. ومن المرجّح أن تستمر ديناميكية استعادة الشراكة مع تركيا، على الرغم من أن الحوار بشأن سوريا سيظل صعباً للغاية.

• كاتب من العراق يقيم في موسكو

لا يستبعد إتساع الفجوة بين عمليتي جنيف وأستانا (كازاخستان). ورجّح التقرير، أن اقتراح روسيا الرامي لعقد مؤتمر للحوار الوطني في سوريا سيتغلب على هذه الفجوة ويتجاوزها. وعلى وفق تقديراته، فإن الكثير سيعتمد على تشكيلة المشاركين في المؤتمر ومستوى تمثيلهم وسعته. في غضون ذلك ستبقى القضية الكردية من بين المشاكل الأكثر حدة المحلولة.

لا للمقارنات السقيمة

العـــراق.. إمـــا الـــدولـــة أو الـفـاســدون!

□ حسين الصدر

لا يُجدي الحديث عن الدولة، وحصر السلاح بيدها، وزراعة وصناعة ولو متواضعة، مع الفساد في أعلى المراتب وأدناها. فكلما تأخر قمع الفساد تعددت فرص الإرهاب. تمكن الفاسدون بما اصطُلح عليه بالدولة العميقة. سيقضي الفساد على فرص إعادة البناء، والبناء ليس الطرقات والعمائر فحسب، بل وبناء الإنسان، والبداية من التعليم.

-١-

يبلغ الجحود بالنعمة ذروته حين يجهر البعض بتفضيلهم أيام الدكتاتورية البائدة السود، على أيام العراق الجديد، الذي زال عنه كابوس الظلم و الاستبداد، ومن السخف أن تكون البطاقة التموينية ذات المواد الغذائية الكثيرة هي السبب وراء ذلك التفضيل العليل ...!!

ما قيمةُ الغذاء الوافي اذا اقترن بالاذلال وسلب الحقوق والحريات بأسرها ..؟

كيف ينسى هؤلاء الجاحدون أنّهم كانوا أيام الطاغوت يخشون الحديث عن سوء الأوضاع العامة في البلد أمام ابنائهم، خشية أنْ يتسرب شيء من اقوالهم الى جلاوزة الدكتاتورية فيذوقون الموت الزؤام..!!

وهم الآن ينتقدون ويصبّون جام غضبهم على السلطويين دونما خشية من أحد ..!!

لو لم تتح لهمْ إلا هذه الحرية في أن يقولوا ما شاؤوا ...

لكفى بها مزية و مكسبا كبيرا...

إنّ حالة هؤلاء الناقمين على العراق الجديد تجعلنا نشبههم بالجُعل.

والجُعل :

ضَرْبٌ من الخنافس يألف القذر..!!

قال الجاحظ في الحيوان:

إنّ الجُعل اذا دُفن في الورد مات...

وسكتت حركاتُه كلها وعاد جامداً...

فإذا أعيد الى الروث عادت إليه حركةُ الحياة من ساعته، وانحلت عقدتُه ورجعَ الى حسه .

-٢-

قال المتنبي :

" وكَمْ تضرُّ رياحُ الورد بالجُعَل"

وبهذا فقد عدّت سقطة كبيرة من الشاعر اللبناني المعروف (جورج صيدح) حين أُقيمت له حفلة تكريمية شارك فيها جمع من الشعراء و الأدباء، فوقف ليلقي قصيدة في شكرهم فقال :

ردّوا جميل ثنائكم عن بابي

خطرٌ عليَّ تدفقُ الأطيابِ

فقيل :

إن تدفق الاطياب خطر على الجُعل فقط ..!!

-٣-

شباب العراق طحنتهم حروب الطاغية العدوانية، فلم تستطع أمٌ أن تهنأ بأبنها، ولا أب، فمن حرب الى حرب ومن كرب الى كرب، والمقابر الجماعية خير شاهد عن النزعة الدموية التي اتسمت بها الدكتاتورية البائدة، فكيف تصحّ المقارنة بين تلك الأيام السود وأيام العراق الجديد الذي لم يكلف شباب العراق بأية خدمة إلزامية وفتح الباب أمامَ العراقيين جميعاً للسفر والتنقل الى حيث يريدون دون أنْ يدفعوا مالاً كثيراً، و دون أن يتجشموا عناءً كبيراً ..؟!

ونسى أولئك الجاحدون، أن الحصار الذي فُرض على العراق بسبب السياسات الطائشة للدكتاتورية البائدة، اضطرت المفكرين الى أن يبيعوا مكتباتهم من أجل تأمين احتياجاتهم الضرورية، ودفعت بعضهم الى بيع أبواب غرف منازلهم من أجل نفس الغَاية ...!!

لم يكن يسمح للأب أنْ يَسألَ عن مصير (ابنته) التي تعتقل من قبل الأجهزة القمعية ..، وكان الشقيّ المقبور ابن الطاغية، ينتزع النساء من بين أيدي أزواجهن، فإذا مانع أحدٌ عاجلَتْهُ الرصاصات القاتلة...

و ما يُقال عن (الأعراض) التي دنسها المغرورن، يُقال عن سائر الحرمات والمقدّسات التي انتهكها الطاغوت وزبانيته المجرمون.

لقد كان الحكم القضائي على المعارضين مشتملاً على مصادرة الأموال المنقولة وغير المنقولة لهم، وهو يعني الانتقام من ذويهم وتجريدهم حتى من دار السكن ..!!

و لقد كانت الملاحقات تمتد الى اقرباء المعارضين للاستبداد حتى الدرجة الرابعة .

مع أن مبدأ شخصية العقوبة منصوصٌ عليه في كل دساتير العالم وقوانينها الجزائية .

-٤-

نحن لا ندّعي أن (العراق الجديد) هو الصيغة المثالية للبلد السعيد المستقر الآمن، ولا نبرئ المفسدين واللصوص من جرائمهم الكبرى في خيانه البلد، والاستحواذ الحرام على المال العام، ولكنّ مبدأ الحفاظ على الأنفس و الحريات والحرمات هو الأصل في ما يشهده البلد من ممارسات بحق المواطنين .

-٥-

إنّ أيتام الدكتاتورية البائدة وبقايا العفالقة الأوغاد والمتلاحمين معهم من عديمي المروءة والإنصاف، لن يروق لهم أنْ يعترفوا بالحقائق.. وهم لا يكفّون عن بث الشبهات والإشاعات المغرضة لأسباب لا يجهلها أحد ولهؤلاء جميعاً نقول:

موتوا بغَيْظِكُم ...

والنصرُ المؤزر للعراق، الذي يسير بخطى سريعة نحو استرداد عافيته، واسترجاع مكانته العالية على كل الصعد والمستويات .

نتذكر عبارة أحد الذين أتت بهم طوارئ الزمان، وصار وزيراً للتربية والتعليم، فأطلقها مغروراً: «سأُعيد تشكيل العقل العراقي»! وتشكيل العقل الذي يقصده يعني الانهيار والانحطاط. فليس في إناء صاحبنا سوى ما نرى ونسمع من تغييب العقل، وللحيص بيص (ت ٥٧٤هـ): «وحِسبكم هذا التفاوت بيننا/ وكلُّ إناء بالذي فيه ينضحُ» (الحموي، معجم الأدباء). لا يعني الفساد العبث بالمال والإدارة، بل الأخطر من هذا فساد العقل الذي أراد صاحبنا تشكيله.

يخشى الفاسدون من القوي العارف بالخبايا، فالفاسدون يبحثون عمن يسيطرون لضعفه على البلاد والعباد، هذا ما فعله الغلمان مع خلفاء عباسيين، حتى صار الخليفة طوع مزاجاتهم، فهيؤوا بذلك لتسلط البويهية والسلجوقية على بغداد والخلافة معاً. لم يحترس العباسيون بتنبيه من قال في المستعين بالله (قُتل ٢٥٢هـ): «خليفةٌ في قفص/ بين وصيف وبغا/ يقول ما قيل له/ كما تقول الببغاء» (السُّيوطي، تاريخ الخلفاء).

أسس وصيف وبغا، وهما من غلمان عهد جعفر المتوكل (ت ٢٤٧هـ)، لجيش جرار من القراهمة والقهرمانات، ما أن تخرج الخلافة من أزمة إلا وأدخلوها في أزمات. نرى هؤلاء اليوم قادةً لميليشيات وأحزاب، ويؤثرون عبر المشاعر الدينية، فصاحب العمامة البيضاء الذي يظهر، يمارس فساد العقل عبر فضائيته، متضايقاً من هتاف المتظاهرين «باسم الدين باكونا (سرقونا) الحرامية». لكنه لم يلتفت إلى رفيقه في الحزب نفسه صاحب العمامة السوداء، وهو يبيع ويشتري ذمم البسطاء، يطوف على الأرياف والقرى، ومعه خازن المال المنهوب من الدولة، يوزع لمن ينشد أهزوجة مديح، وبخزي أمام الكاميرات، وكأنه يقول: هذه جماهيرنا ستنتخبنا بالدين والديمقراطية معاً!

يمارس الفاسدون فسادهم بالحرص على اختيار سلطة تبرئهم جميعاً، وزير فاسد وقاضٍ فاسد، وسلطة تخشى من صولتهم. هذا ما تضامن عليه الفاسدون بعد وفاة المكتفي بالله العباسي (ت ٢٩٥هـ). لم يكن الخليفة جاعلاً ولياً للعهد، لذا عندما ثقل عليه المرض أخذت الحاشية تبحث في اختيار خليفة له، لكن بشروطهم، ولما وقع الخيار على ابن عمه عبد الله بن المعتز (قُتل ٢٩٦هـ)، الشاعر وصاحب كتاب «طبقات الشُّعراء»، والعارف بالأُمور، ظهر الرَّأي خلاف ذلك، فقيل للوزير: «اتق الله ولا تُنصب في هذا الأمر مَن قد عرف دار هذا، ونعمة هذا، وبستان هذا، وجارية هذا، وضيعة هذا، وفرسَ هذا، ومن لقي الناس ولقوه، وعرف الأمور، وتحنك، وحسب حساب نِعم الناس» (مسكويه، تجارب الأُمم وتعاقب الهمم).

كان المكتفي في النزع الأخير، وأي فراغ من السلطة، سيقلب عاصمة الخلافة، كل يريد فرصته، فصار الاختيار على أخي الخليفة جعفر بن المعتضد، ولقبوه بالمقتدر (قُتل ٣٢٠هـ)، لكن الخليفة المرشح غير مقتدر، لم يبلغ الثلاثة عشر عاماً، فردوا على الوزير: «لكنه ابن المعتضد»! فقالوا: لمَ تأتوا «برجلٍ يأمرُ وينهي، ويعرفَ مالنا، وبمنْ يُباشر التدبير بنفسه، ويرى أنه مستقل» (المصدر نفسه).

هنا تقدم أحد الحاشية من الكُتاب الكبار محمد بن يحيى الصّولي (ت ٣٣٥هـ) ليبرُر الترشيح، فـ«عَمل كتاباً في جواز ولايته (المقتدر) واستدل بأن الله تعالى بعث بيحيى بن زكريا- عليهما السَّلام- نبياً، ولم يُكن بالغاً» (ابن الكازروني، مختصر التاريخ).

إذا أخذنا هذا التبرير القديم الجديد، في ما يخص إحضار النص الديني، وطبقناه على يومنا هذا، وعلى من أخذ يبرر للفاسدين الكبار بتكفير من هتف «باسم الدين باكونا الحرامية»! فالمبدأ واحد، وإن اختلفت العبارة، كله يدخل في نطاق التحايل، وتحايل اليوم أخطر وأفجع، لأن الفاسدين أنفسهم رفعوا رايات محاربته، وشمروا السواعد للحرب عليه كذباً، حسب بيانات أحزابهم وبرامج فضائياتهم المشيّدة بالفساد.

تحتاج الحرب على الفساد قوة ضمير وفن تدبير، تحتاج مَن يعرف «بستان هذا، وضيعة هذا، وفرس هذا». فلا دولة تنهض، ولا إعمار يُعاد، ولا عقل يتشكل، إذا كان الفاسدون يجمعون بين الدين والسياسة، تحت تصرفهم المسجد والبرلمان.

ليس بعيداً عما فعلته حاشية المكتفي بالله، كي لا يأتي بمَن «يُباشر التدبير»، نتذكر الإصرار على حماية القاضي الذي يتهاون مع الفاسدين، من قبل متنفذين، قبلها عُزل محافظ البنك المركزي، واتهامه بما هم أحق به، ويؤتى بمحافظ من أهل الدار، فأي دولة يرجوها العراقي، وأي إعادة إعمار ينتظر؟! أختم بأبي العلاء المَعري (ت ٤٤٩هـ): «أما العراق فعمّت أرضه فتنٌ/ مثل القيامة غشتها غواشيها/ وللزمان على أبنائه أبداً/ حكومةٌ لا يُردُّ الحكم راشيها» (لزوم ما لا يلزم).

□ رشيد الخيّون

كان المكتفي في النزع الأخير، وأي فراغ من السلطة، سيقلب عاصمة الخلافة، كل يريد فرصته، فصار الاختيار على أخي الخليفة جعفر بن المعتضد، ولقبوه بالمقتدر (قُتل ٣٢٠هـ)، لكن الخليفة المرشح غير مقتدر، لم يبلغ الثلاثة عشر عاماً، فردوا على الوزير: «لكنه ابن المعتضد»! فقالوا: لمَ تأتوا «برجلٍ يأمرُ وينهي، ويعرفَ مالنا، وبمن يُباشر التدبير بنفسه، ويرى أنه مستقل» (المصدر نفسه).